ويقول أبو حيان في هذا المعنى[1]: «ومعنى الظن هنا تغليب أحد الجائزين، وبهذا يتبين أن معنى الخوف في آية الخُلع معنى الظن [أي على معنى توقع المكروه لا العلم به] لأن مساقَ الحدود واحد.

وقال أبو عبيدة وغيره: المعنى أيقنا، جَعَلَ الظنَّ هنا بمعنى اليقين، وضُعِّف قولهم بأن اليقين لا يعلمه إلاَّ الله، إذ هو مغيب عنهما.

قال الزمخشري: ومن فسَّر العلم هنا بالظن فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى: لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن: علمت أنه يقوم زيد، ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظنا.

فبخلاف نقد الزمخشري الفكرة، ينبغي أن نلاحظ أيضًا أن التركيب اللغوي لن يستقيم مع (علما ـ علمتم)، إذ إننا عندما نبحث الدلالة لا نفترض أن هذا المدلول يمكن وضعه مكان العلامة اللغوية في الجملة كما هي ويبقى التركيب على ما هو عليه فهذا ليس مقياسًا أو دليلاً على صحة الفهم عندنا، لأن الدلالة أمرٌ يتعلق بما يتحول إليه النص في عقل القارئ وهو ما يسمى بالمفهوم والفائدة، وليست الدلالة لفظًا بديلاً ينبغي أن نتحرى في اختياره أن يمكن إحلاله محلَّ الدال، ويعطي المعنى نفسه في التركيب نفسه، ومن حقائق اللغة أنه لا لفظة يمكن وضعها محل لفظة أخرى وإلا فلماذا كانت في اللغة لفظتان للدلالة على معنى واحد هو الآخر تمامًا، وما الذي يميز تركيبًا عن آخر ويمنحه خصوصية لغته واختياراته اللفظية ؟! وقد فصلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن القول فيما يتعلق بالقرآن من هذا في كتابها القيّم الإعجاز البياني للقرآن[2].

أقول، بخلاف هذا الجانب من رأي الزمخشري فإنه قد أشار صراحةً إلى معنى غياب الغيب عن علم البشر، ومنه المستقبل، وهذا نفسه رأي من ضعَّف قول أبي عبيدة، ممن نقل عنهم أبو حيان وإن لم يسمهم.

وبينما ساق أبو حيان هذه الآراء جميعًا فقد عاد بعد مناقشة لغوية واستدلال في مسألة التبادل بين معاني الظن والعلم وألفاظهما في السياقات المختلفة، ليقول ردا على رأي الزمخشري[3]: «وأما قوله: لأن الإنسان لا يعلم ما في غد، وإنما يظن ظنا، ليس

---

(١) البحر المحيط، ج٢، ص٤٨١.

(٢) انظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، المبحث الثاني ١، ٢. ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٣) البحر المحيط، ج٢، ص٤٨٢.